المِصْبَاحُ المُنِيرُ

فِي تَهْذِيبِ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَاتِحَةِ

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ)

[أَسْمَاءُ الفَاتِحَةِ وَمَعْنَاهَا]

يُقَالُ لَهَا: الفَاتِحَةُ، أَيْ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ خَطًّا، وَبِهَا تُفْتَتَحُ القِرَاءَةُ فِي الصَّلَوَاتِ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: أُمُّ الكِتَابِ عِنْدَ الجُمْهُورِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ أُمُّ القُرْآنِ، وَأُمُّ الكِتَابِ، وَالسَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ"، وَيُقَالُ لَهَا: (الحَمْدُ) وَيُقَالُ لَهَا: (الصَّلَاةُ) لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي..." الحديث. فَسُمِّيَتِ الفَاتِحَةُ صَلَاةً؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهَا: (الرُّقْيَةُ)؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الصَّحِيحِ حِينَ رَقَى بِهَا الرَّجُلَ السَّلِيمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّها رُقْيَةٌ؟".

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَأَبُو العَالِيَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ سورة الحجر، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

[عَدَدُ آيَاتِهَا]

وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ بِلَا خِلَافٍ. وَالبَسْمَلَةُ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مِنْ أَوَّلِهَا، كَمَا هُوَ عِنْدَ الجُمْهُورِ قِرَاءَة الكُوفَةِ، وَقَوْل جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَخَلْقٍ مِنَ الخَلَف.

[عَدَدُ كَلِمَاتِهَا وَحُرُوفِهَا]

قَالُوا: وَكَلِمَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً، وَحُرُوفُهَا مِائَةٌ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ حَرْفًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[لِمَاذَا سُمِّيَتْ أُمَّ الكِتَابِ]

قَالَ البُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ: وَسُمِّيَتْ أُمَّ الكِتَابِ؛ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي المَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِ مَعَانِي القُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ جَامِعِ أَمْرٍ أَوْ مُقَدَّمٍ لِأَمْرٍ إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتْبَعُهُ هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ: أُمًّا، فَنَقُولُ لِلْجِلْدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّمَاغَ: أُمُّ الرَّأْسِ، وَيُسَمُّونَ لِوَاءَ الجَيْشِ وَرَايَتَهُمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ تَحْتَهَا: أُمًّا. قَالَ: وَسُمِّيَتْ مَكَّةُ أُمَّ القُرَى؛ لِتَقَدُّمِهَا أَمَامَ جَمِيعِهَا وَجَمْعِهَا مَا سِوَاهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّ الأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْهَا.

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي أُمِّ القُرْآنِ: "هِيَ أُمُّ القُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَهِيَ القُرْآنُ العَظِيمُ" وَرَوَى أَبُو جَعْفَر مُحَمَّدُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "هِيَ أُمُّ القُرْآنِ، وَهِيَ فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي".

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الفَاتِحَةِ

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بنِ المُعَلَّى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ حَتَّى صَلَّيْتُ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ سورة الأنفال:٢٤ ، ثُمَّ قَالَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ، قَالَ: نَعَمْ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوْتِيتُهُ"، وَهَكَذَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى البُخَارِيُّ فَي فَضَائِلِ القُرْآنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا، فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غُيِّبَ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبنهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً وَسَقَانَا لَبَنًا. فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً؟ أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ فَقَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ وَنَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: "وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ".

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالنَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ جِبْرَائِيلُ، إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا فَوْقَهُ، فَرَفَعَ جِبْرِيلُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ، قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ قَدْ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَمْ تَقْرَأْ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُوتِيتَهُ"، وَهَذَا لَفْظُ النَّسَائِيِّ، وَلِمُسْلِمٍ نَحْوَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الفَاتِحَةُ فِي الصَّلَاةِ]

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا أُمَّ القُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ -ثَلَاثًا- غَيْرُ تَمَامٍ"، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ خَلْفَ الإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

قَالَ اللهُ: هَذَا لِعَبْدِي: وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ". وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَفِي لَفْظٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَالنَّسَائِيِّ: "فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ".

.....

.....

.....

.....

.....

الكَلَامُ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الحَدِيثِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِالفَاتِحَةِ مِنْ وُجُوهٍ

وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ أُطْلِقَ فِيهِ لَفْظُ الصَّلَاةِ، وَالمُرَادُ القِرَاءَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ، أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهَكَذَا قَالَ فِي هَذَا الحَدِيثِ: " قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ "، ثُمَّ بَيَّنَ تَفْصِيلَ هَذِهِ القِسْمَةِ فِي قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ، فَدَلَّ عَلَى عَظَمَةِ القِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ أَرْكَانِهَا، إِذْ أُطْلِقَتْ العِبَادَةُ وَأُرِيدَ بِهَا جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْهَا. وَهُوَ القِرَاءَةُ كَمَا أَطْلَقَ لَفْظَ القِرَاءَةِ وَالمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ سورة الإسراء،

وَالمُرَادُ صَلَاةُ الفَجْرِ، كَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "أَنَّهُ يَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ".

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[وُجُوبُ قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا إِمَامـًا كَانَ أَوْ مَأْمُومـًا أَوْ مُنْفَرِداً]

فَدَلَّ هَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِن القِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ اتِّفَاقٌ مِن العُلَمَاءِ: وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الحَدِيثُ المَذْكُورُ حَيْثُ قَالَ صَلَواتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ". وَالخِدَاجُ هُوَ النَّاقِصُ، كَمَا فُسِّرَ بِهِ فِي الحَدِيثِ "غَيْرُ تَمَامٍ". وَأَيْضـًا قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ" وَفِي صَحِيحَيِ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَابْنِ حِبَّانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُجزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ". وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا البَابِ كَثِيرَةٌ. [فَعَلَى المُصَلِّي أَنْ يَقْرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ إِمَامـًا كَانَ أَوْ مَأْمُومـًا أَوْ مُنْفَرِداً فِي جَمِيعِ الصَّلَواتِ وَفِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَلَا بُدَّ].

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

تَفْسِيرُ الاسْتِعَاذَةِ وَأَحْكَامُهَا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ سورة الأعراف، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ سورة المؤمنون، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ سورة فصلت

فَهَذِهِ ثَلَاثُ آيَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ رَابِعَةٌ فِي مَعْنَاهَا، وَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُ بِمُصَانَعَةِ العَدُوِّ الإِنْسِيِّ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ عَنْهُ طَبْعُهُ الطَّيِّبُ الأَصِيلُ إِلَى المُوَالَاةِ وَالمُصَافَاةِ، وَيَأْمُرُ بِالاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِن العَدُوِّ الشَّيْطَانِيِّ لَا مَحَالَةَ، إِذْ لَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا إِحْسَانًا، وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ هَلَاكِ ابْنِ آدَمَ لِشِدَّةِ العَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ﴾ سورة الأعراف ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ سورة فاطر، وَقَالَ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ سورة الكهف، وَقَدْ أَقْسَمَ لِلْوَالِدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ، وَكَذَبَ، فَكَيْفَ مُعَامَلَتُهُ لَنَا وَقَدْ قَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ سورة ص، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ سورة النحل.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الاسْتِعَاذَةُ تَكُونُ قَبْلَ التِّلَاوَةِ]

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة النحل، أَيْ: إِذَا أَرَدْتَ القِرَاءَةَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ الآية: أَيْ إِذَا أَرَدْتُمُ القِيَامَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ الأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ. رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِن اللَّيْلِ فَاسْتَفْتَحَ صَلَاتَهُ وَكَبَّرَ قَالَ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ -ثُمَّ يَقُولُ- لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَلَاثًا- ثُمَّ يَقُولُ- أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وِنَفْثِهِ" وَرَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هُوَ أَشْهَرُ شَيْءٍ فِي هَذَا البَابِ.

وَقَدْ فُسِّرَ الهَمْزُ بِالمَوْتَةِ، وَهِيَ الخَنْقُ، وَالنَّفْخُ بِالكِبْرِ، وَالنَّفْثُ بِالشِّعْرِ، كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً -ثَلَاثًا- الحَمْدُ لِلهِ كَثِيرًا -ثَلَاثًا- سُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا -ثَلَاثًا- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ: الشِّعْرِ"، وَقَالَ ابْنُ مَاجَهْ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ المُنْذِرِ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَهَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ" قَالَ: هَمْزُهُ: المَوْتَةُ، وَنَفْخُهُ: الكِبْرُ، وَنَفْثُهُ: الشِّعْرُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[التَّعَوُّذُ عِنْدَ الغَضَبِ]

وَرَوَى الحَافِظُ أَبُو يَعْلَى أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُثَنَّى المُوصِلِيُّ فِي مُسْنَدِهِ، عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيّ اللهُ عَنْهُ قَالَ: تَلَاحَى رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَمَزَّعَ أَنْفُ أَحَدِهِمَا غَضَبـًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ شَيْئـًا لَوْ قَالَهُ لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي "اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ".

وَرَوَى البُخَارِيُ عَنْ سُلَيْمَانَ بنِ صُرَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، فَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبـًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعَلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُون"، وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضـًا مَعَ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الاسْتِعَاذَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا هَهُنَا، وَمَوْطِنُهَا كِتَابُ الأَذْكَارِ وَفَضَائِلِ الأَعْمَالِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الاسْتِعَاذَةُ وَاجِبَةٌ أَوْ مُسْتَحَبَّةٌ]

(مَسْأَلَةٌ): وَجُمْهُورُ العُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ مُسْتَحَبَّةٌ، لَيْسَتْ بِمُحَتَّمَةٍ يَأْثَمُ تَارِكُهَا، حَكَى الرَّازِيُّ عَنْ عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ وُجُوبَهَا فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجِهَا كُلَّمَا أَرَادَ القِرَاءَةَ، وَاحْتَجَّ الرَّازِيُّ لِعَطَاءٍ بِظَاهِرِ الآيَةِ: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ وَهُوَ أَمْرٌ ظَاهِرُهُ الوُجُوبُ، وَبِمُوَاظَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، وَلِأَنَّهَا تَدْرَأُ شَرَّ الشَّيْطَانِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، وَلِأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ أَحْوَطُ، فَإِذَا قَالَ المُسْتَعِيذُ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" كَفَى ذَلِكَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مِنْ لَطَائِفِ الاسْتِعَاذَةِ]

وَمِنْ لَطَائِفِ الاسْتِعَاذَةِ أَنَّها طَهَارَةٌ لِلْفَمِ مِمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَتَطْيِّيبٌ لَهُ، وَهُوَ لِتِلَاوَةِ كَلَامِ اللهِ، وَهِيَ اسْتِعَانَةٌ بِاللهِ، وَاعْتِرَافٌ لَهُ بِالْقُدْرَةِ، وَلِلْعَبْدِ بِالضَّعْفِ وَالعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَةِ هَذَا العَدُوِّ المُبِينِ البَاطِنِيِّ، الذِّي لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِ وَدَفْعِهِ إِلَّا اللهُ الذِّي خَلَقَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا يُدَارَى بِالإِحْسَانِ، بِخِلَافِ العَدُوِّ مِنْ نَوْعِ الإِنْسَانِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتٌ مِنَ القُرْآنِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ المَثَانِي. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ سورة الإسراء، وَقَدْ نَزَلَتِ المَلَائِكَةُ لِمُقَاتَلَةِ العَدُوِّ البَشَرِيِّ، فَمَنْ قَتَلَهُ العَدُوُّ الظَّاهِرُ البَشَرِيُّ كَانَ شَهِيداً، وَمَنْ قَتَلَهُ العَدُوُّ البَاطِنِيُّ كَانَ طَرِيداً، وَمَنْ غَلَبَهُ العَدُوُّ الظَّاهِرِيُّ كَانَ مَأْجُوراً، وَمَنْ قَهَرهُ العَدُوُّ البَاطِنِيُّ كَانَ مَفْتُونًا أَوْ مَوْزُوراً، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يَرَى الإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ اسْتَعَاذَ مِنْهُ بِالَّذِي يَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

(فَصْلٌ): وَالاسْتِعَاذَةُ هِيَ الالْتِجَاءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وَالعِيَاذَةُ تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، وَاللَّيَاذُ يَكُونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الخَيْرِ.

[مَعْنَى الاسْتِعَاذَةِ]

وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحُثَّنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكُفُّهُ عَنِ الإِنْسَانِ إِلَّا اللهُ، وَلِهَذَا أَمَرَ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الجَمِيلِ إِلَيْهِ لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِن الأَذَى، وَأَمَرَ بِالاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الجِنِّ، لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رِشْوَةً، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ، لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ، وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ. وَهَذَا المَعْنَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ لَا أَعْلَمُ لَهُنَّ رَابِعَةً، قَوْلِهِ فِي الأَعْرَافِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الأَعْدَاء مِنَ البَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ: (قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ): ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِي (سُورَةِ فُصِّلَتْ): ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[تَسْمِيَةُ الشَّيْطَانِ]

الشَّيْطَانُ فِي لُغَةِ العَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ البَشَرِ، وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَقِيلَ: مُشْتَقٌّ مِنْ شَاطَ؛ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كِلَاهُمَا صَحِيحٌ فِي المَعْنَى وَلَكِنَّ الأَوَّلَ أَصَحُّ. وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: العَرَبُ تَقُولُ: تَشَيْطَنَ فُلَانٌ إِذَا فَعَلَ فِعْلَ الشَّيَاطِينِ، وَلَوْ كَانَ شَاطَ لَقَالُوا: تَشَيَّطَ، فَالشَّيْطَانُ مُشْتَقٌّ مِنَ البُعْدِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَلِهَذَا يُسَمُّونَ كُلَ مَنْ تَمَرَّدَ مِنْ جِنِّيٍّ وَإِنْسِيٍّ وَحَيَوَانٍ شَيْطَانًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ سورة الأنعام وَفِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ؛ "فَقُلْتُ: أَوَ لِلْإِنْسِ شَيَاطِينٌ؟ قَالَ: نَعَمْ"، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقْطَعُ الصَّلَاةَ: المَرْأَةُ وَالحِمَارُ وَالكَلْبُ الأَسْوَدُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَالُ الكَلْبِ الأَسْوَدِ مِنَ الأَحْمَرِ وِالأَصْفَرِ؟ فَقَالَ: "الكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ"، وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَكِبَ بِرْذَوْنًا فَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بِهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَلَا يَزْدَادُ إِلَّا تَبَخْتُراً فَنَزَلَ عَنْهُ وَقَالَ: مَا حَمَلْتُمُونِي إِلَّا عَلَى شَيْطَانٍ، مَا نَزَلْتُ عَنْهُ حَتَّى أَنْكَرْتُ نَفْسِي" إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مَعْنَى الرَّحِيمِ]

وَالرَّحِيمُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ: إِنَّه مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ عَنِ الخَيْرِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ سورة الملك، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ سورة الصافات، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ سورة الحجر، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ. وَقِيلَ: رَحِيمٌ بِمَعْنَى رَاحِم لِأَنَّهُ يَرْجُمُ النَّاسَ بِالوَسَاوِسِ والرَّبَائِثِ. وَالأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَصَحُّ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[البَسْمَلَةُ أَوَّلُ آيَةٍ مَنْ سُورَةِ الفَاتِحَةِ]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ افْتَتَحَ بِهَا الصَّحَابَةُ كِتَابَ اللهِ، وَاتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مَنْ سُورَةِ النَّمْلِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا هَلْ هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورِةٍ كُتِبَتْ فِي أَوَّلِهَا، أَوْ أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ.

وَمِمَّنْ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّها آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ إِلاَّ بَرَاءَة ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وأَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَلِيٌّ، وَمِنَ التَّابِعِينَ: عَطَاءٌ وَطَاوُسُ وَسَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ وَمَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ، وَبِهِ يَقُولُ عَبْدُ اللهِ ابنُ المُبَارَكِ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، وَإِسْحَاقُ بنُ رَاهُويَه وَأَبُو عُبَيْد القَاسِم بن سَلَّامٍ رَحِمَهُمُ اللهُ، وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُمَا: لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الفَاتِحَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ، وَقَالَ دَاوُدُ: هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ لَا مِنْهَا، وَهَذِهِ رِوَايَةٌ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الجَهْرُ وَالإِسْرَارُ بِالبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ الجَهْرِيَّةِ]

فَأَمَّا الجَهْرُ بِهَا فِي الصَّلَاةِ فَمَنْ رَأَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الفَاتِحَةِ فَلَا يَجْهَرُ بِهَا، وَكَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِأَنَّهَا مِنْ أَوَائِلِ السُّوَرِ، فَاخْتَلَفُوا، فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى أَنَّهُ يَجْهَرُ بِهَا مَعَ الفَاتِحَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ طَوَائِفَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا، فَجَهَرَ بِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابنُ عُمَرَ وابنُ عَبَّاسٍ وَمُعَاوِيَةُ، وَحَكَاهُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ وَالبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ، وَنَقَلَهُ الخَطِيبُ عَنِ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَهُوَ غَرِيبٌ، وَمِنَ التَّابِعِينَ عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ وَأَبِي قِلَابَةَ وَالزُّهْرِيِّ وَعَلِيِّ بنِ الحَسَنِ وَابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ، وَعَطَاءٍ وَطَاوُس وَمُجَاهِدٍ وَسَالِمٍ وَمُحَمَّدِ بنِ كَعْبِ القُرَظِيِّ وَأَبِي بَكْر بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرٍو ابنِ حَزْمٍ، وَأَبِي وَائِلٍ وابْنِ سِيرِينَ وَمُحَمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ، وَعَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَنَافِع مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ وَعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَالأَزْرَقِ بنِ قَيْسٍ وَحِبِيبِ بنِ أَبِي ثَابِتٍ وَأَبِي الشَّعْثَاء وَمَكْحُولٍ وَعَبْدِ اللهِ بنِ معقل بن مقرن، زَادَ البَيْهَقِيُّ: وَعَبْدَ اللهِ بنَ صَفْوَانٍ وُمُحَمَّدَ بنَ الحَنَفِيَّةِ، زَادَ ابنُ عَبْدِ البَرِّ:وَعَمْرَو بنَ دِينَارٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَالحُجَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا بَعْضُ الفَاتِحَةِ، فَيُجْهَرُ بِهَا كَسَائِرِ أَبْعَاضِهَا، وَأَيْضاً فَقَدْ رَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ خُزَيْمَةُ وَابنُ حِبَّانَ فَي صَحِيحَيْهِمَا وَالحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى فَجَهَرَ فِي قِرَاءَتِهِ بِالبَسْمَلَةِ، وَقَالَ بَعدَ أَنْ فَرَغَ: إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَصَحَّحَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَالخَطِيبُ وَالبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ، وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: كَانَتْ قِرَاءَتُهُ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ . يَمُدُّ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ وَيَمُدُّ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وَيَمُدُّ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَفِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَصَحِيحِ ابنِ خُزَيْمَةَ وَمُسْتَدْرَكِ الحَاكِمِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَرَوَى الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيُّ وَالحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَلَّى بِالمَدِينَةِ فَتَرَكَ البَسْمَلَةَ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ ذَلِكَ، فَلَمَّا صَلَّى المَرَّةَ الثَّانِيَةَ بَسْمَلَ.

وَفِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ فِي الاحْتِجَاجِ لِهَذَا القَوْلِ عَمَّا عَدَاهَا. فَأَمَّا المُعَارَضَاتُ وَالرِّوَايَاتُ الغَرِيبَةُ وَتطْرِيقُهَا وَتَعْلِيلُهَا وَتَضْعِيفُهَا وَتَقْرِيرُهَا فَلَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ. وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُجْهَرُ بِالبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ عَنْ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ وَطَوَائِفَ مِنْ سَلَفَ التَّابِعِينَ وَالخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيِّ وَأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَعِنْدَ الإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ البَسْمَلَةَ بِالكُلِّيَّةِ لَا جَهْراً وَلَا سِرًّا وَاحْتَجُّوا بِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . وَبِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَكَانُوا يَفْتَتِحُونَ بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وَلِمُسْلِمٍ: وَلَا يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا، وَنَحْوُهُ فِي السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَهَذِهِ مَآخِذُ الأَئِمَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى صِحَّةِ مَنْ جَهَرَ بِالبَسْمَلَةِ وَمَنْ أَسَرَّ، وَلِلهِ الحَمْدُ وَالمِنَّة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فَصْلٌ فِي فَضْلِهَا

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمِدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ رَدِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ عَثُرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، تَعَاظَمَ وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ ، وَإِذَا قُلْتَ: بِاسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ"، وَقَدْ رَوَى النَّسَائِيُّ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَابنُ مَرْدَوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أُسَامَةَ بنِ عُمَيْرٍ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَهُ وَقَالَ: "لَا تَقُلْ هَكَذَا، فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حَتَّى يَكُونَ كَالبَيْتِ، وَلَكِنْ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ، فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَكُونَ كَالذُّبَابَةَ". فَهَذَا مِنْ تَأْثِيرِ بَرَكَةِ بِسْمِ اللهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[اسْتِحْبَابُهَا فِي بِدَايَةِ كُلِّ عَمَلٍ]

وَلِهَذَا تُسْتَحَبُّ فِي أَوَّلِ كُلِّ عَمَلٍ وَقَوْلٍ، فَتُسْتَحَبُّ فِي أَوَّلِ الخُطْبَةِ؛ لِمَا جَاءَ، وَتُسْتَحَبُّ البَسْمَلَةُ عِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ ؛ لِمَا وَرَدَ مِن الحَدِيثِ فِي ذَلِكَ، وَتُسْتَحَبُّ فِي أَوَّلِ الوُضُوءِ لِمَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَالسُّنَنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَعِيدِ بنِ زَيْدٍ وَأَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: "لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ". وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهَكَذَا تُسْتَحَبُّ عِنْدَ الأَكْلِ لِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَبِيبِهِ عُمَرَ بنَ أَبِي سَلَمَةَ: "قُلْ: بِسْمِ اللهِ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ".

وِمَن العُلَمَاءِ مَنْ أَوْجَبَهَا وَالحَالَةُ هَذِهِ، وَكَذَلِكَ تُسْتَحَبُّ عِنْدَ الجِمَاعِ، لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا".

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[بِمَاذَا يَتَعَلَّقُ بِاسْمِ اللهِ]

وَمِنْ هَهُنَا يَنْكَشِفُ لَكَ أَنَّ القَوْلَيْنِ عِنْدَ النُّحَاةِ فِي التَّقْدِيرِ المُتَعَلِّقِ بِالبَاءِ فِي قَوْلِكَ: بِاسْمِ اللهِ، هَلْ هُوَ اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ، مُتَقَارِبَانِ، وَكُلٌّ قَدْ وَرَدَ بِهِ القُرْآنُ، أَمَّا مَنْ قَدَّرَهُ بِاسْمٍ تَقْدِيرُهُ بِاسْمِ اللهِ ابْتِدَائِي، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ سورة هود ، وَمَنْ قَدَّرَهُ بِالفِعْلِ أَمْرًا أَوْ خَبَراً نَحْو: أَبْدَأُ بِسْمِ اللهِ، أَوِ ابْتَدَأْتُ بِاسْمِ اللهِ؛ فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ سورة العلق ﴿وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، فَإِنَّ الفِعْلَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَصْدَرٍ، فَلَكَ أَنْ تُقَدِّرَ الفِعْلَ وَمَصْدَرَهُ، وَذَلِكَ بِحَسْبِ الفِعْلِ الَّذِي سَمَّيْتَ قَبْلَهُ إِنْ قِيَامًا أَوْ قُعُوداً، أَوْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا، أَوْ قِرَاءَةً، أَوْ وُضُوءًا، أَوْ صَلَاةً، فَالمَشْرُوعُ ذِكْرُ اسْمِ اللهِ فِي الشُّرُوعِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا وَاسْتِعَانَةً عَلَى الإِتْمَامِ وَالتَّقَبُّلِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مَعْنَى لَفْظِ الجَلَالَةِ "الله"]

[اللهُ] عَلَمٌ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُقَالُ إِنَّهُ الاسْمُ الأَعْظَمُ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ سورة الحشر فَأَجْرَى الأَسْمَاءَ البَاقِيَةَ كُلَّهَا صِفَاتٍ لِهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ سورة الأعراف وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ سورة الإسراء وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ".

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[تَفْسِيرُ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ المُبَالَغَةِ، وَرَحْمن أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنْ رَحِيم، وَفِي كَلَام ابْنِ جَرِيرٍ يُفْهَمُ مِنْهُ حِكَايَةَ الاتِّفَاقِ عَلَى هَذَا، وَقَالَ القُرْطُبِيُّ: وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ،وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ" قَالَ: وَهَذَا نَصٌّ فِي الاشْتِقَاقِ، وَإِنْكَارُ العَرَبِ لاسْمِ الرَّحْمَنِ لِجَهْلِهِمْ بِاللهِ وَبِمَا وَجَبَ لَهُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قَالَ القُرْطُبِيُّ: ثُمَّ قِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ كَنَدْمَان وَنَدِيمٍ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَقِيلَ لَيْسَ بِنَاءُ فَعْلَان كَفَعِيل، فَإِنَّ فَعْلَان لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى مُبَالَغَةِ الفِعْلِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: رَجُلٌ غَضْبَان- لِلرَّجُلِ المُمْتَلِئِ غَضَبًا- وَفَعِيل قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ: الرَّحْمَنُ اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ يَخْتَصُّ بِهِ اللهُ تَعَالَى، وَالرَّحِيمُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ المُؤْمِنِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب، وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: هُمَا اسْمَانِ رَقِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرَقُّ مِنَ الآخَرِ، أَيْ: أَكْثَرُ رَحْمَةً.

وَقَالَ ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا السَّرِيُّ بنْ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بنُ زُفَرَ سَمِعْتُ العَزْرَمِيَّ يَقُولُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ: الرَّحْمَنُ لِجَمِيعِ الخَلْقِ، الرَّحِيمُ قَالَ: بِالمُؤْمِنِينَ، قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ فَذَكَرَ الاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنِ لِيَعُمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَقَال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ، قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي الرَّحْمَةِ لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَالرَّحِيمُ خَاصَّةٌ بِالمُؤْمِنِينَ، لَكِنْ جَاءَ فِي الدُّعَاءِ المَأْثُورِ: "رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا"

.....

.....

.....

.....

وَاسْمُهُ تَعَالَى الرَّحْمَنُ خَاصٌّ بِهِ، لَمْ يُسَمِّ بِهِ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وَلَمَّا تَجَهْرَمَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ وَتَسَمَّى بِرَحْمَنِ اليَمَامَةِ كَسَاهُ اللهُ جُلْبَابَ الكَذِبِ وَشُهِرَ بِهِ، فَلا يُقَالُ إِلاَّ: مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ، فَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي الكَذِبِ بَيْنَ أَهْلِ الحَضَرِ مِنْ أَهْلِ المَدَرِ، وَأَهْلِ الوَبَرِ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ وَالأَعْرَابِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَعَلَى هَذِهِ فَيَكُونُ تَقْدِيُم اسْمِ اللهِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَوَصْفُهُ أَوَّلاً بِالرَّحْمَنِ الَّذِي مَنَعَ مِنَ التَّسْمِيَةِ بِهِ لِغَيْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وَإِنَّمَا تَجَهْرَمَ مُسَيْلَمَةُ اليَمَامَةِ فِي التَّسَمِّي بِهِ، وَلَمْ يُتَابِعْهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الضَّلَالَةِ، وَأَمَّا الرَّحِيمُ فَإِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ بِهِ غَيْرَهُ، قَالَ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة، كَمَا وَصَفَ غَيْرَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

والحَاصِلُ أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَمِنْهَا مَا لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، كَاسْمِ اللهِ، وَالرَّحْمَنِ، وَالخَالِقِ، وَالرَّازِقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلِهَذَا بَدَأَ بِاسْمِ اللهِ وَوَصَفَهُ بِالرَّحْمَنِ لِأَنَّهُ أَخَصُّ وَأَعْرَفُ مِنَ الرَّحِيمِ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ أَوَّلًا إِنَّمَا تَكُونُ بِأَشْرَفِ الأَسْمَاءِ فَلِهَذَا ابْتَدَأَ بِالأَخَصِّ فَالأَخَصِّ. وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ حَرْفًا حَرْفًا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ فَقَرَأَ بَعْضُهُمْ كَذَلِكَ وَهُمْ طَائِفَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مَعْنَى الحَمْدِ]

قَالَ أَبُو جَعْفَر بنِ جَرِيرٍ: مَعْنَى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾الشُّكْرُ لِلهِ خَالِصاً دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصَيهَا العَدَدُ، وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ، فِي تَصْحِيحِ الآلاتِ لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِينِ جَوَارِحِ أَجْسَامِ المُكَلَّفِينِ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَغَذَاهُمْ مِنْ نَعِيمِ العَيْشِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْه وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِن الأَسْبَابِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى دَوَامِ الخُلُودِ فِي دَارِ المُقَامِ فِي النَّعِيمِ المُقِيمِ، فَلِرَبِّنَا الحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوَّلاً وَآخِرًا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثَنَاءٌ أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِي ضِمْنِهِ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: الحَمْدُ لِلهِ. قَالَ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَ القَائِلِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَى، وَقَوْلِهِ: "الشُّكْرُ لِلهِ" ثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِنِعَمِهِ وَأَيَادِيهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الفَرْقُ بَيْنَ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ]

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَالحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ وَالمُتَعَدِيَّةِ، تَقُولُ: حَمِدْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ، وَحَمِدْتُهُ لِكَرَمِهِ، وَهُوَ أَخَصُّ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالقَوْلِ، والشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ وَالنِّيَّةِ هُوَ أَخَصُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الصِّفَاتِ المُتَعَدِّيَّةِ لَا يُقَالُ: شَكَرْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ، وَتَقُولُ: شَكَرْتُهُ عَلَى كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ.

هَذَا حَاصِلُ مَا حَرَّرَهُ بَعْضُ المُتَأَخِرِينَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقالَ أَبو نَصْر إِسْمَاعِيلُ بنُ حَمَّادٍ الجَوْهَرِيُّ: الحَمْدُ نَقِيضُ الذَّمِّ، تَقُولُ: حَمِدْتُ الرَّجُلَ أَحْمَدُهُ حَمْدًا وَمَحْمَدَةً، فَهُوَ حَمِيدٌ وَمَحْمُودٌ، وَالتَّحْمِيدُ أَبْلَغُ مِنَ الحَمْدِ، وَالحَمْدُ أَعَمُّ مِن الشُّكْرِ، وَقَالَ فِي الشُّكْرِ: هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى المُحْسِنِ بِمَا أَوْلَاهُ مِن المَعْرُوفِ، يُقَالُ: شَكَرْتُهُ وَشَكَرْتُ لَهُ، وَبِاللَّامِ أَفْصَحُ. وَأَمَّا المَدْحُ فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الحَمْدِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ لِلْحَيِّ وَلِلْمَيِّتِ وَلِلْجَمَادِ أَيْضًا، كَمَا يُمْدَحُ الطَّعَامُ وَالمَكَانُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَيَكُونُ قَبْلَ الإِحْسَانِ وَبَعْدَهُ، وَعَلَى الصِّفَاتِ المُتَعَدِّيَةِ وَاللَّازِمَةِ أَيْضـًا، فَهُوَ أَعَمُّ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ذِكْرُ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي الحَمْدِ

وَرَوَاهُ غَيْرُ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ حَفْصٍ فَقَالَ: قَالَ عُمَرُ لِعَلِيٍّ -وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ-: لِا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَسُبْحَانَ اللهِ واللهُ أَكْبَرُ قَدْ عَرَفْنَاهَا. فَمَا الحَمْدُ لِلهِ؟ قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةٌ أَحَبَّهَا اللهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَرَضِيَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تُقَالَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الحَمْدُ لِلهِ كَلِمَةُ الشُّكْرِ، وَإِذَا قَالَ العَبْدُ: الحَمْدُ لِلهِ قَالَ: شَكَرَنِي عَبْدِي. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[فَضَائِلُ الحَمْدِ]

وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عَنِ الأَسْوَدِ بنِ سَرِيعٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا أُنْشِدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّيَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَقَالَ: "أَمَّا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الحَمْدَ" وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَرَوَى أَبُو عِيسَى الحَافِظُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَابنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ كَثِيرٍ عَنْ طَلْحَةَ بنِ خِرَاشٍ عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلهِ"، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَرَوَى ابنُ مَاجَهْ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الحَمْدُ لِلهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ".

وَفِي سُنَنِ ابنِ مَاجَهْ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ: "أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ قَالَ يَا رَبِّ لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَلَتْ بِالمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا فَصَعَدَا إِلَى اللهِ فَقَالَا: يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدًا قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللهُ- وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ—مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ: لَكَ الحَمْدُ يَا رَبِّ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ فَقَالَ اللهُ لَهُمَا: "اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيهِ بِهَا".

.....

.....

.....

.....

[الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي "الحَمْد" لِلْاسْتِغْرَاقِ]

وَالأَلِفُ وَاللَّامُ فِي "الحَمْد" لِاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الحَمْدِ وَصُنُوفِهِ لِلهِ تَعَالَى، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ وَبِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ" الحديث.

[مَعْنَى الرَّبِّ]

وَالرَّبُّ هُوَ المَالِكُ المُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عِلِى السَّيِّدِ، وَعَلَى المُتَصَرِّفِ لِلْإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللهِ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ الرَّبُّ لِغَيْرِ اللهِ بَلْ بِالإِضَافَةِ تَقُولُ: رَبُّ الدَّارَ، رَبُّ كَذَا، وَأَمَّا الرَّبُّ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الاسْمُ الأَعْظَمُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مَعْنَى العَالَمِينَ]

وَالعَالَمِينَ جَمْعُ عَالَمٍ وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالعَالَمُ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَالعَوَالِمُ أَصْنَافُ المَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَكُلُّ قَرْنٍ مِنْهَا وَجِيلٍ يُسَمَّى عَالَمًا أيْضا. قَالَ الفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدٍ: العَالَمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَعْقِلُ، وَهُمُ الإِنْسُ وَالجِنُّ وَالمَلَائِكَةُ والشَّيَاطِينُ، ولَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ عَالَم. وَعَنْ زَيْدِ ابنِ أَسْلَمَ وَأَبِي مُحَيْصَنٍ: العَالَمُ كُلُّ مَا لَهُ رُوحٌ تُرَفْرِفُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كُلُّ صِنْفٍ عَالَمٌ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: العَالَمُ كُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ القُرْطُبِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، إِنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ العَالَمِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سورة الشعراء.

[وَجْهُ تَسْمِيةِ العَالَمِ]

وَالعَالَمُ مُشْتَقٌّ مِنَ العَلَامَةِ، (قُلْتُ): لِأَنَّهُ عَلَمٌ دَالٌّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ تَقَدَّمَ الكَلَامُ عَلَيهِ فِي البَسْمَلَةِ بِمَا أَغْنَى عَنِ الإِعَادَةِ. قَالَ القُرْطُبِيُّ: إِنَّمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بَعْدَ قَولِهِ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾؛ لِيَكُونَ مِنْ بَابِ قَرْنِ التَّرْغِيبِ بَعْدَ التَّرْهِيبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ سورة الحجر وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٥﴾ سورة الأنعام ، قَالَ: فَالرَّبُّ فِيهِ تَرْهِيبٌ، وَالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ تَرْغِيبٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِن العُقُوبَةِ مَا طَمِعَ فِي جَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ من الرَّحْمَةِ مَا قَنطَ مِنْ رَحْمَتِهِ أَحَدٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

[مَعْنَى تَخْصِيصَ المُلْكِ بِيَوْمِ الدِّينِ]

وَتَخْصِيصُ المُلْكِ بِيَوْمِ الدِّينِ لَا يَنْفِيهِ عَمَّا عَدَاهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الإِخْبَارُ بِأَنَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ، وَذَلِكَ عَامٌّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّم أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾ سورة النبأ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾ سورة طه وَقَالَ تَعَالَى﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾ سورة هود وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ يَقُولُ: لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَعَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ حُكْمًا كَمُلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

[مَعْنَى يَوْمِ الدِّينِ]

قَالَ: وَيَوْمُ الدِّينِ يَوْمُ الحِسَابِ لِلْخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يُدِينُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُهُ مِن الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[المَلِكُ وَمَلِكُ الأَمْلَاكِ هُوَ اللهُ]

المَلِكُ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ وفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: "أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ" وَفِيهِمَا عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ" وَفِي القُرْآنِ العَظِيمِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ﴾ فَأَمَّا تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَلِك فَعَلَى سَبِيلِ المَجَازِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ وفِي الصَّحِيحَيْنِ: "مَثَلُ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ".

[تَفْسِيرُ الدِّينِ]

وَالدِّينُ: الجَزَاءُ وَالحِسَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ وَقَالَ: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أَيْ: مَجْزِيُّونَ مَحَاسَبُونَ، وَفِي الحَدِيثِ: "الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ" أَيْ: حَاسَبَ نَفْسَهُ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَأَهَّبُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

[مَعْنَى العِبَادَةِ لُغَةً وَشَرْعًا]

وَالعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ مِن الذِّلَّةِ، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ أَيْ: مُذَلَّلٌ، وَفِي الشَّرْعِ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ المَحَبَّةِ وَالخُضُوعَ وَالخَوْفَ.

[فَوَائِدُ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ والالْتِفَاتِ]

وَقَدَّمَ المَفْعُولَ، وَهُوَ إياك، وَكَرَّرَ لِلْاهْتِمَامِ وَالحَصْرِ أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ، وَالدِّينُ كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى هَذِينِ المَعْنَيَيْنِ. وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الفَاتِحَةُ سِرُّ القُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الكَلِمَةُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فَالأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ من الشِّرْكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِن الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَتَفْوِيضٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا المَعْنَى فِي غَيْرِ آيَةٍ مِن القُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وَتَحَوُّلُ الكَلَامِ مِن الغَيْبَةِ إِلَى المُوَاجَهَةِ بِكَافِ الخِطَابِ، لِأَنَّه لَمَّا أَثْنَى عَلَى اللهِ فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى فَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[الفَاتِحَةُ إِرْشَادٌ إِلَى الثَّنَاءِ فَتَجِبُ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَاةِ]

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ خَبَرٌ مِن اللهِ تَعَالَى بِالثَّنَاءِ عَلَى نَفسِهِ الكَرِيمَةِ بِجَمِيلِ صِفَاتِهِ الحُسْنَى، وَإِرْشَادٌ لِعِبَادِهِ بِأَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ. وَلِهَذَا لَا تَصِحُّ صَلَاةُ مَنْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ"، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ،فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وِلَعَبْدِي مَا سَأَلَ إِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ اللهُ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وِلَعِبْدِي مِا سِأَلِ، فِإِذَا قِالِ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ".

.....

.....

.....

.....

.....

[تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ]

قَالَ الضَّحَاكُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُوكَ يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ.

[تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ]

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ عَلَى طَاعَتِكَ وَعلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا وَقالَ قَتَادَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أُمُورِكُمْ وَإِنَّمَا قَدَّمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ لِأَنَّ العِبَادَةَ لَهُ هِيَ المَقْصُودَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا. وَالاهْتِمَامُ والحَزْمُ تَقْدِيمُ مَا هُوَ الأَهَمُ فَالأَهَمُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

[تَسْمِيَةُ اللهِ نَبِيَّهُ عَبْدًا فِي أَشْرَفِ المَقَامَاتِ]

وَقَدْ سَمَّى اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ۝١﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ فَسَمَّاهُ عَبْدًا عِنْدَ إِنْزَالِهِ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ قِيَامِهِ فِي الدَّعْوَةِ، وَإِسْرَائِهِ بِهِ.

الإِرْشَادُ إِلَى العِبَادَةِ عِنْدَ ضِيقِ الصَّدْرِ

وَأَرْشَدَهُ إِلَى القِيَامِ بِالعِبَادَةِ فِي أَوْقَاتِ يَضِيقُ صَدْرُهُ مِنْ تَكْذِيبِ المُخَالِفِينَ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ سورة الحجر

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾

[سِرُّ تَأْخِيرِ الدُّعَاءِ بَعْدَ الحَمْدِ وَالوَصْفِ]

لَمَّا تَقَدَّمَ الثَّنَاءُ عَلَى المَسْؤُولِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاسَبَ أَنْ يُعَقِّبَ بِسُؤَالٍ كَمَا قَالَ: "فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"، وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ أَنْ يَمْدَحَ مَسْؤُولَهُ، ثُمَّ يَسْأَلَ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ المُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ لِأَنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ وَأَنْجَعُ لِلْإِجَابَةِ، وَلِهَذَا أَرْشَدَ اللهُ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ الأَكْمَلُ، وَقَدْ يَكُونُ السُّؤَالُ بِالإِخْبَارِ عَنْ حَالِ السَّائِلِ وَاحْتِيَاجِهِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ وَقَدْ يَتَقَدَّمُهُ مَعَ ذَلِكَ وَصْفُ المَسْؤُولِ كَقَوْلِ ذِي النُّونِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ وَقَدْ يَكُونُ بِمُجَرَّدِ الثَّنَاءِ عَلَى المَسْؤُولِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ******* حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْمًا ******* كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَنَاءُ

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مَعْنَى الهِدَايَةِ]

الهِدَايَةُ هَهُنَا الإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تُعَدَّى الهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا كَمَا هُنَا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فَتَضَمَّنَ مَعْنَى أَلْهِمْنَا أَوْ وَفِّقْنَا أَوْ ارْزُقْنَا أَو أَعْطِنَا، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ سورة البلد أَيْ: بَيَّنَا لَهُ الخَيْرَ وَالشَّرَ، وَقَدْ تُعَدَّى بِ(إِلَى) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ سورة النحل ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ سورة الصافات وَذَلِكَ بِمَعْنَى الإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ وَقَدْ تُعَدَّى بِاللَّامِ كَقَوْلِ أَهْلِ الجَنَّةِ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ أَيْ: وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[مَعْنَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ]

وَأَمَّا الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ فَقَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَر بنِ جَرِيرٍ: أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ هُوَ الطَّرِيقُ الوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ العَرَبِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرِ بنِ عَطِيَّةَ الخطفي:

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ * * * * * إِذَا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمُ

قَالَ: وَالشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، قَالَ: ثُمَّ تَسْتَعِيرُ العَرَبُ الصِّرَاطَ فَتَسْتَعْمِلُهُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وُصِفَ بِاسْتِقَامَةٍ أَوِ اعْوِجَاجٍ، فَتَصِفُ المُسْتَقِيمَ بِاسْتِقَامَتِهِ وَالمُعْوَجَّ بِاعْوِجَاجِهِ. وَالمُرَادُ بِهِ الإِسْلَامُ.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنبَتَي الصِّرَاطِ سُورِانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ، فَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ: الإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ"

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[سُؤَالُ المُؤْمِنِ الهِدَايَةَ مَعَ اتِّصَافِهِ بِهَا]

فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ يَسْأَلُ المُؤْمِنُ الهِدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ ،فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الحَاصِلِ أَمْ لَا؟

فَالجَوَابُ: أَنْ لَا، وَلَوْلَا احْتِيَاجُهُ لَيْلاً وَنَهَاراً إِلَى سُؤَالِ الهِدَايَةِ لَمَا أَرْشَدَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ العَبْدَ مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَثْبِيتِهِ عَلَى الهِدَايَةِ وَرُسُوخِهِ فِيهَا وَتَبَصُّرِهِ وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ العَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَمُدَّهُ بِالمَعُونَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوْفِيقِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِسُؤَالِهِ فَإِنَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ وَلَا سِيَّمَا المُضْطَرُّ المَحْتَاجُ المُفْتَقِرُ إِلَيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ الآية. فَقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالإِيمَانِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الحَاصِلِ؛ لِأَنَّ المُرَادَ الثَّبَاتُ وَالاسْتِمْرَارُ وَالمُدَاوَمَةُ عَلَى الأَعْمَالِ المُعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَالَ تَعَالَى آمِراً لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ سورة آل عمران فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾اسْتَمِرَّ بِنَا عَلَيْهِ وَلَا تَعْدِلْ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ. ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾وَقَدْ تَقَدَّمَ الحَدِيثُ فِيمَا إِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾إِلَى آخِرِهَا أَنَّ اللهَ يَقُولُ: "هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ سورة النساء

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ سورة الفاتحة المَعْنَى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَصْفُهُمْ وَنَعْتُهُمْ وَهُمْ أَهْلُ الهِدَايَةِ وَالاسْتِقَامَةِ وَالطَّاعَةِ لِلهِ وَرُسُلِهِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ، غَيْرِ صِرَاطِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ فَعَلِمُوا الحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ، وَهُمُ الَّذِينَ فَقَدُوا العِلْمَ فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الحَقِّ. وَأَكَّدَ الكَلَامَ بِلَا؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ مَسْلَكَيْنِ فَاسِدَيْنِ وَهُمَا طَرِيقَتَا اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، لِيَجْتَنِبَ كُلَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَإِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ الإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى العِلْمِ بِالحَقِّ وَالعَمَلِ بِهِ، وَاليَهُودُ فَقَدُوا العَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا العِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الغَضَبُ لِلْيَهُودِ وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى، لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ اسْتَحَقَّ الغَضَبَ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ، وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئًا لَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا الأَمْرَ مِنْ بَابِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الحَقِّ، ضَلُّوا، وَكُلٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، لَكِنْ أَخَصُّ أَوْصَافِ اليَهُودِ الغَضَبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وَأَخَصُّ أَوْ صَافِ النَّصَارَى الضَّلَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ سورة المائدة وَبِهَذَا جَاءَتْ الأَحَادِيثُ وَالآثَارُ وَذَلِكَ وَاضِحٌ بَيِّنٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ، قَالَ: جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِسلَّمَ فَأَخَذُوا عَمَّتِي وَنَاسـًا، فَلَمَّا أَتوا بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفُّوا لَهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَأَى الوَافِدُ وَانْقَطَعَ الوَلَدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ، فَمُنَّ عَلَيَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ، قَالَ: "مَنْ وَافِدُكِ؟" قَالَتْ: عَدِيُّ بنُ حَاتِمٍ، قَالَ: "الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ"؟ قَالَتْ: فَمُنَّ عَلَيَّ، فَمَا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ تَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ قَالَ: سَلِيهِ حملانـًا، فَسَأَلَتْهُ فَأَمَرَ لَهَا، قَالَ: فَأَتَتْنِي فَقَالَتْ: لَقَدْ فَعَلَ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذِا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصِبْيَان، وَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُلْكِ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرَ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لِا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ؟ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: فَأَسْلَمْتُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ وَقَالَ: "إِنَّ المَغْضُوبَ عَلَيْهِم: اليَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ: النَّصَارَى"، وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَفِي السِّيرَةِ عَنْ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ يَطْلُبُونَ الدِّينَ الحَنِيفَ قَالَتْ لَهُ اليَهُودُ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الدُّخُولَ مَعَنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللهِ، فَقَالَ: أَنَا مِنْ غَضَبِ اللهِ أَفِرُّ، وَقَالَ لَهُ النَّصَارَى: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ الدُّخُولَ مَعَنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ سَخَطِ اللهِ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُهُ، فَاسْتَمِرَّ عَلَى فِطْرَتِهِ وَجَانَبَ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ وَدِينِ المُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَ أَحَدٍ مِنَ اليَهُودِ وَلَا النَّصَارَى وَأَمَّا أَصْحَابُهُ فَتَنَصَّرُوا وَدَخَلُوا فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ أَقْرَبَ مِنْ دِينِ اليَهُودِ إِذْ ذَاكَ، وَكَانَ مِنْهُمْ وَرَقَةُ ابنُ نَوْفَل حَتَّى هَدَاهُ اللهُ بِنَبِيِّهِ لَمَّا بَعَثَهُ، آمَنَ بِمَا وَجَدَ مِنَ الوَحِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

مُشْتَمِلَاتُ الفَاتِحَةِ

(فَصْلٌ) اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الكَرِيمَةُ، وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ، عَلَى حَمْدِ الله وَتَمْجِيدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى المُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ العُلْيَا وَعَلَى ذِكْرِ المَعَادِ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، وَعَلَى إِرْشَادِهِ عَبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَإِلَى إِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ، وَتَوْحِيدِهِ بِالأُلُوهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مُمَاثِلٌ، وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ القَوِيمُ، وَتَثْبِيتَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْضِيَ بِهِمْ ذَلِكَ عَلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الحِسِّيِّ يَوْمَ القِيَامَةِ، المُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ؛ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، واشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكِ البَاطِلِ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُمُ المَغْضُوبُ عُلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[إِسْنَادُ الإِنْعَامِ إِلَى اللهِ دُونَ الإِضْلَالِ وَالرَّدُّ عَلَى القَدَرِيَّةِ]

وَمَا أَحَسَن مَا جَاءَ إِسْنَادُهُ الإِنْعَامَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وَحَذْفُ الفَاعِلِ فِي الغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِنْ كَانَ هُوَ الفَاعِلُ لِذَلِكَ فِي الحَقِيقَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية.

وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بِقَدَرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ سورة الكهف: وَقَالَ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ سورة الأعراف، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ المُنْفَرِدِ بِالهِدَايَةِ وَالإِضْلَالِ، لَا كَمَا تَقُولُ الفِرْقَةُ القَدَرِيَّةِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ مِنْ أَنَّ العِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ القُرْآنِ، وَيَتْرُكُونَ مَا يَكُونُ فِيهِ صَرِيحًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالغَيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِي يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ" يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ فَلَيْسَ، -بِحَمْدِ اللهِ-، لِمُبْتَدِعٍ فِي القُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصِلَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ مُفَرِّقًا بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

[التَّأْمِينُ بَعْدَ الفَاتِحَةِ]

(فَصْلٌ) يُسْتَحَبُّ لِمَنْ يَقْرَأُ الفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: آمِينَ، مِثْل يس، وَيُقَالُ: أَمِينَ بِالقَصْرِ أَيْضًا، وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّأْمِينِ مَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ وَائِل بنِ حجر قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فَقَالَ: "آمين"، مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، وَلأَبِي دَاوُدَ: رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمْ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَلَا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: "آمينَ" حَتَّى يُسْمِعَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الصَّفِّ الأَوَّلِ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ وَزَادَ فِيهِ: فَيَرْتَجُّ بِهَا المَسْجِدُ. وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ. وَعَنْ بِلَالٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لا تَسْبِقْنِي بِآمينَ. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وَنَقَلَ أَبُو نَصْرٍ القُشَيْرِيُّ عَنِ الحَسَنِ وَجَعْفَرٍ الصَّادِقِ أَنَّهُمَا شَدَّدَا المِيمَ مِنْ آمِينَ مِثْل: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ: وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ خَارِجَ الصَّلَاةِ، وَيَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ المُصَلِّي، وَسَواءٌ كَانَ مُنْفَرِداً أَوْ إِمَامًا أَوْ مَأْمُومًا وَفِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ، لِمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" وَلِمُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ: آمِينَ وَالمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحَدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" قِيلَ: بِمَعْنَى مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ فِي الزَّمَانِ. وَقِيلَ: فِي الإِجَابَةِ. وَقِيلَ: فِي صِفَةِ الإِخْلَاصِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا :"إِذَا قَالَ – يَعْنِي: الإِمَامَ- ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ"، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ مَعْنَاهُ: لَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا. وَقَالَ الأَكْثَرُونَ مَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لَنَا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

سليمان – منعاز